اهتمام يسوع الرائع

(مرقس ٦: ٣٠-٥١)

تأليف: جو شوبيرت

« هل يهتم يسوع بي حقاً؟ » هل سألت نفسك هذا السؤال؟ يصور إنجيل مرقس في الأصحاح ٦: ٣٠-٥٢ صورة حية لاهتمام يسوع. فان رفقته ورحمته رائعا أن نتمسك بهما.

١. اهتمامه بتلاميذه (مرقس ٦: ٣٠-٣٣)

كتب باتسل بارت باكستر مقالة بعنوان « كيف تقلل من الإجهاد » في هذه المقالة، ورد الخبر التالي:

> كان لي صديقاً مشغولا جدا بمحطة التلفزيون التي يمتلكها، قال لي يوما ضاحكا وهو يقارن حياته المليئة بالإجهاد بحياة رجلين يسكنان في مزرعته. أنه كموظف كبيرومنافس في مجال الأعلام، كان يستيقظ في الصباح الباكر ويقود سيارته من بيته الذي في المزرعة إلى المدينة، ويعمل طول النهار تحت ضغط ثقيل ومن ثم يعود إلى بيته في المزرعة كل مساء. وفي مساء أحد الأيام عاد إلى بيته متعبا كالعادة وعندما دخل من الشارع العام إلى الطريق الخاص المؤدي إلى بيته. نظر إلى البحيرة التي ضمن أملاكه، ولاحظ الرجلين الذين يعملان في مزرعته يصطادان السمك في وقت متأخر من ذلك المساء. بدأ يفكر بالحياة الهادئة والمريحة والتي بدون ضغوط التي يعيشها هذان الرجلان وقارنها بالحياة التي يعيشها هو المليئة بالضغوط. حيث وجد نفسه مستغربا سواء كان هو يعمل عندهما أم هما اللذان يعملان لديه. في حين أن أعمالهما كانت أعمالا شاقة ومتعبة في حرث الأرض والعناية بحيوانات الحقل، فقد وجدا وقتا للتمتع بالحياة. وبعد شهور قليلة،قرأت في الجريدة أنه باع محطة التلفاز الخاصة به وتقاعد عن العمل. آملا أن يجد هو أيضا وقتا للتمتع بالأشياء الأحسن في الحياة.

استمر باكستر ليقول:

> الأكثرية منا يختارون الحد الأقصى للهرب من ضغوط الحياة. نعمل خلال أشهر السنة لكي نحصل على أسبوعين أجازة نقضيها في بعض الأماكن النائية قد تكون رحلة معسكر مع العائلة أو الأنتقال إلى أحد الأماكن السياحية، أو ننتقل جوا إلى حيث توجد المياه الدافئة والشمس المشرقة. وخلال بقية أشهر السنة هناك بعض العطل الأسبوعية القصيرة التي ربما نسافر بها إلى أماكن التزلج أو بكسر الروتين في حياتنا العملية وبعيدا عن ضغط العمل اليومي. العديد من المفكرين قالوا أن عدد المشاكل الصحية يكون نتيجة للإجهاد غير المسيطر عليه. وكل واحد منا يتحدث عن الإجهاد وعن مشاكله وكيفية تجنبه.

يمكن للناس ان يتحملوا مقدارا معينا من التوتر والإجهاد. عندما يحمل الجسم أوالعقل عبء أكثر من قابليتهما، يحدث الإنهيار.

نتمسك أحياناً بوجه نظر واحد عن المسيحية. نرى الدين المسيحي على أنه يدعونا باستمرار للشعور بواجبنا.تطلب المسيحية مثل هذه المناشدات. ولكن قصص الإنجيل أيضاً مليئة بأمثلة جميلة يظهر فيها بجلاء اهتمام يسوع بالضغوط والتوتر الذي يعمل تلاميذه تحتها. بل بالحقيقة كان يسوع يهتم بالضغوط والتوتر الذي أصاب تلاميذه أكثر مما اهتموا به انفسهم. الجسم والعقل

متقاربان بحيث إذا انهار احدهما، ينهار الآخر أيضاً. أدرك يسوع الحاجة إلى وقت للإسترخاء والتسلية والراحة. وكان يقاطع خدمته أحيانا بالعودة إلى مكان هادي.

حدثت واحدة من هذه المناسبات في إنجيل مرقس ٦:٣٠ و ٣١:

> واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل شيء، ما فعلوا وما عملوا. فقال لهم يسوع تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً. لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين. ولم تتيسر لهم فرصة للأكل.

الخلفية لهذا النص ليست الآيات القليلة التي تتقدمها ؛ التي هي تفسير جانبي ادخله مرقس البشير عن موت يوحنا المعمدان والاضطهاد الذي قام به هيرودس الملك (آيات ١٤-٢٩). ترتبط الآية ٣٠ بالآيتين ١٢ و ١٣، إذ يقول مرقس البشير هنا :« فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا. وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم. »

قد عاد الرسل الآن من رحلتهم التبشيرية عبر مدن الجليل. رأوا الله يعمل بقوة من خلالهم. كانوا مغبوطين ومبتهجين ومملوئين بنشوة النجاح والنصر. ولكن كان العمل قاسي ومنهك، ورأى يسوع الحاجة إلى الإنعزال لفترة راحة وسكون. وكان المكان الذي نصح به موضع خلاء الذي هو مكان منعزل لايقطنه الناس.

التشديد الذي وضعه يسوع على تحزيره لتلاميذه ملفت للانتباه. « تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً. » انه علم بان تلاميذه كانوا متعبين ومنهوكين من تبشيرهم المكثف، ويحتاجون إلى راحة جسدية وروحية.

٢. اهتمامه بالجمع (مرقس ٦:٣٤-٤٦)

ولكن الراحة والاسترخاء اللتان طلبهما يسوع لنفسه ولتلاميذه، لم تتوفرا. إذ تشرح الآيات التالية في الأصحاح السادس من إنجيل مرقس ما جرى:

> فمضوا في سفينة إلى موضع خلاء منفردين. فرآهم الجموع منطلقين وعرفه كثيرون فتراكضوا إلى هناك من جميع المدن مشاة وسبقوهم واجتمعوا إليه فلما خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً فتحنن عليهم، إذ كانوا كخراف لا راعي لها فابتدأ يعلمهم كثيراً.

هذا الموقع المعين، الذي كان يبعد أربعة أميال عبر بحر الجليل بالسفينة وعلى نحو عشر أميال من طرف البحيرة. تحتاج السفينة بعض الوقت لتعبر البحيرة إذا كان ذلك في يوم غير عاصف أو يوم ريح شديد. إذن كان بمقدور المشاه الأقوياء ان يسيروا حول الشاطي الذي يبلغ نحو عشر أميال ويصلوا قبل وصول المركب الصغير. من الواضح ان هذا ما حدث في تلك المناسبة. لما خرج يسوع والرسل من السفينة في الاتجاه المقابل من البحيرة، قابلهم الناس نفسهم الذي أراد يسوع وتلاميذه ان ينفردوا عنهم.

أرادوا هنا ان ينفردوا عن الجمع في محاولة لإيجاد الراحة القليلة والاسترخاء، فواجهم الجمع. ولكن يسوع لم يقل لهم: « أنظروا يا ايها الناس، ألا يمكنكم ان تسمحوا لنا ان نستريح قليلاً؟ ألا تسمحوا لنا بوقت راحة لبضع دقائق؟ دعونا نستريح بعض الشيء! »

لقد تعامل معهم بطريقة مختلفة. كان له قلب راعي. قال مرقس البشير في الآية ٣٤، « ... فتحنن عليهم إذ كانوا كخراف لا راعي لها، فابتدأ يعلمهم كثيراً. » بدأ يسوع والرسل يعلموا ويشفوا. وعندما حل الظلام، كان لا يزال هناك عدد غفير من الناس. لم يأكل احداً منهم. يحدثنا مرقس البشير بان حدث عجيب قد وقع هناك. إذ يقول:

> وبعد ساعات كثيرة تقدم إليه تلاميذه قائلين: « الموضع خلاء والوقت مضى. اصرفهم لكي يمضوا إلى الضياع والقرى حولنا ويبتاعوا لهم خبزاً. لأن ليس عندهم ما يأكلون. » فأجاب وقال لهم: « أعطوهم أنتم ليأكلوا. » فقالوا له: « أنمضي ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟ » فقال لهم: « كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا وانظروا! » ولما علموا قالوا: « خمسة وسمكتان. » فأمرهم أن يجعلوا الجميع يتكئون رفاقاً رفاقاً على

العشب الأخضر. فأتكأوا صفوفاً صفوفاً مئة مئة وخمسين خمسين. فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك ثم كسر الأرغفة وأعطى تلاميذه ليقدموا إليهم. وقسم السمكتين للجميع. فأكل الجميع وشبعوا. ثم رفعوا من الكسر اثنتي عشرة قفة مملوة ومن السمك. وكان الذين أكلوا من الأرغفة نحو خمسة آلاف رجل، (مرقس ٦:٣٥-٤٤).

وهذه هي المعجزة الوحيدة في كل العهد الجديد التي دونها كل كُتاب الإنجيل الأربعة!

نرى في هذا الحدث تباين بين سلوك يسوع من ناحية وسلوك التلاميذ من ناحية أخرى.

أولاً: كان هناك رد فعل مختلف لحاجة الإنسان. عندما رأى الرسل بان الوقت كان متأخراً، وأن الجمع كانوا متعبين وجائعين، قالوا: «أصرفهم لكي يذهبوا ليجدوا ما يأكلوا.» وأما يسوع فقال: «اننا موجودون هنا. وهذا مسؤليتنا لنضمن لهم ما يأكلوا. فسنحل المشكلة بأنفسنا.»

ثانياً: يظهر هذا الحدث اثنين من ردود الفعل المختلفة لم يكن لدي الإنسان من مصادر. عندما سئل التلاميذ أن يعطوا الجمع ما يأكلوا، قالوا باصرار بانه يكلف راتب ثمان شهور للإنسان العامل أو مئتي دينار لكي يبتاع ما يكفي من الخبزلهؤلاء للناس. لم يجادل يسوع على ما قاله التلاميذ ؛ بل استجاب فقط بسؤال: «كم رغيفاً عندكم؟»

لماذا سأل يسوع ذلك السؤال على حسب أعتقادك؟ هل ليظهر لتلاميذه كيف ان مصادر البشر قاصرة؟

يحدثنا يوحنا البشير بان أندراوس وجد غلام بين الآلاف من الحاضرين هناك في ذلك اليوم، كان لديه كيس به خمسة أرغفة شعير وسمكتان صغيرتان. قد تكون استجابتي حينذاك مثل استجابة أندراوس. أتى إلى يسوع وقال: «أيها الرب يسوع، ما هذا لمثل هؤلاء الناس؟»

كان خبز الشعير طعام الفقراء. وهو أرخص وأخشن خبز في القرن الأول. وكانت السمكتين على ما أعتقد من نوع السمك المالح الذي كان يعرف به بحر الجليل. سمك بحجم الساردين. يضع بعض الناس سمك مملح صغير على الرغيف ويأكلونه. ولكن يسوع أخذ أرغفة الشعيرالخمسة والسمكتين وصنع بهما أعجوبة.

يجد الذين لا يؤمنون بالمعجزة صعوبة في هذه القصة من إنجيل مرقس البشير لأن لا يمكنهم ان يعترفوا بان معجزة قد حدثت بالحقيقة. انهم لا يقبلون المعجزات. لهذا أتوا بكل أنواع التحليل ليفسروا ما حدثت. من احد التفسيرات الشهيرة هو عندما أعطى هذا الغلام ما كان له من طعام بفعل الكرم، حدثت معجزة تأثير! الذين علموا بعطية هذا الغلام، أتوا هم أيضاً بما كانوا يخبئونها من طعام، وهكذا بمحاكاة الكرم الذي فعله الغلام، أعطيَّ طعام بوفرة ليشبع الجموع.

التفسير الثاني هو التفسيرالذي يعطي مفهوم روحي لما حدثت. يقول هذا التفسير بان يسوع قد اكمل تعليمه للناس قبل وقت وجيز عندما أخذ الأرغفة الخمسة من الشعير والسمكتان. وصلى عليها وكسرها. وعندما بدأوا يقسموها بين المشاهدين، كان الناس قد شبعوا بالخبز الروحي الذي أعطاهم يسوع ليأكلوا من خلال التعليم الذي نطق به، فلاحظوا بانهم لم يكونوا جياع بقدر ما ظنوا. هكذا كانت الأرغفة الخمسة من الشعير والسمكتان كافية لأطعام عشرة أو اثنا عشر ألف شخص.

طبعاً لا يتعامل أو يتفق اي من التفسيرين مع النص {الإنجيلي}. كلاهما يدوران حول الموضوع ويتجنبان ويروغان ما حدثت بوضوح في الأصحاح السادس من إنجيل مرقس. أجرى يسوع معجزة حقيقية. أخذ أرغفة الشعير الخمسة والسمكتان الصغيرتان وصنع منها بأعجوبة، كمية كافية من الخبز والسمك ليطعم العشرة آلاف أو الاثنا عشر ألفا من الناس. وكل من لا يؤمن بما حدث، لا يؤمن بالكتاب المقدس.

في هذه المناسبة، يعلم يسوع الرسل ان يدركوا أعمال الرب.

بعد ان اشبع جوع الجمع، يقول مرقس

البشير في آيتي ٤٥ و ٤٦ ما يلي:

> وللوقت ألزم تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوا إلى العبر، إلى بيت صيدا حتى يكون قد صرف الجميع. وبعد ما ودعهم، مضى إلى الجبل ليصلي.

٣. اهتمامه ببطرس (أع ٦:٤٧-٥٢)

وقع حدث مثير في الآيات ٤٧-٥٢. إذ يقول مرقس البشير:

> ولما صار المساء، كانت السفينة في وسط البحر وهو على البر وحده. ورآهم معذبين في الجدف؛ لأن الريح كانت ضدهم. ونحو الهزيع الرابع من الليل، أتاهم ماشياً على البحر وأراد ان يتجاوزهم. فلما رأوه ماشياً على البحر، ظنوه خيالاً فصرخوا. لأن الجميع رأوه واضطربوا. فللوقت كلمهم وقال لهم: ثقوا أنا هو. لا تخافوا. «فصعد إليهم الى السفينة فسكنت الريح. فبهتوا وتعجبوا في انفسهم جداً إلى الغاية. لأنهم لا يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة.»

كان التوقيت اليهودي للنهار والليل توقيتا مختلفا.حيث يبدأ الليل من الساعة السادسة مساءاً وحتى السادسة صباحاً. وهناك أربعة أقسام لليل اليهودي. يبدأ الهزيع {القسم} الأول من الساعة السادسة إلى التاسعة مساءاً. ويبدأ الثاني من الساعة التاسعة مساء حتى منتصف الليل. ويبدأ الثالث من منتصف الليل حتى الساعة الثالثة عند الفجر. ويبدأ القسم الرابع والأخير من الساعة الثالثة وحتى السادسة صباحاً.

يقول مرقس البشير بان هذا الحدث وقع في القسم الرابع من الليل، حيث يكون هذا في حدود الساعة الثالث صباحاً. كان يسوع لوحده عند الجبل بجانب بحر الجليل، حيث كان يصلي. وفي نحو الساعة الثالثة، التفت ونظر إلى البحر. وفي ضوء القمر الوضاء الذي مكنه أن يرى الرياح قد اشتدت على البحر؛ وكانت السفينة الصغيرة التي فيها التلاميذ تتقاذفها الرياح الهوجاء ذهاباً وايابا. فبدأ السير نحو التلاميذ ماشياً على الماء.

توجد عبارة مثيرة للعجب في الآية ٤٨. يسجل مرقس البشير بان يسوع: «...أراد أن يتجاوزهم...» لست أعلم كل ما تتضمنه هذه العبارة، ولكنها قد تعني يسوع لم يكن يخطط ليكون وسيطا في هذه المناسبة. انه كان يخطط ان يمر بجانب التلاميذ دون أن يعلم به احد، ويتركهم يتعاملون مع هذه المشكلة بثقتهم وايمانهم الغير كاملين بالله.

قد يكون بعضنا في حالة مشابهة لتلك الآن. قد نصارع الآن قرار معقد، ربما نواجه الآن حالة فوق طاقاتنا ولا نستطيع السيطرة عليها. نشعر باننا وحيدون نجذب الحبال. ولكن علينا ان نعلم بان الله موجودا دائماً بجوارنا.

خاف التلاميذ، ومن منا لا يخاف؟ عندما رأوا يسوع ظنوا بانه شبح. فصاحوا بذعر؛ فكلمهم يسوع. (كررت هذه الكلمات مرات لا تحصى إلى التلاميذ القلقين والخائفين على مر العصور): «ثقوا. أنا هو. لا تخافوا.»؛ (آية ٥٠). هذا ما نريد جمعنا أن نسمع. أليس كذلك؟

كان التلاميذ قد شهدوا قوة الله طول اليوم. ولكن يشير مرقس البشير بانه كان من الصعب عليهم ان يفهموا كل ما حدثت. توضح العبارة الختامية لهذه الفقرة السبب الذي أدى إلى خوف التلاميذ وهو انهم رأوا يسوع ماشياً على الماء متجهاً نحوهم. لاحظ الآيتين ٥١ و ٥٢: «...فبهتوا وتعجبوا في أنفسهم جداً إلى الغاية. لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة.» عندما يكون للشخص عقل مغلق، لا يدرك اي حقيقة فيما بعد. ظن أولئك الرسل بانهم مكثوا مع يسوع عدة أشهر، ومع ذلك لم يفهموا ما كان يحدث. لا تزال عقولهم مغلقة. لم يفهموا حتى ما حدثت سابقاً في الساعات الأولى من المساء بمعجزة الخبز والسمك. يقول مرقس البشير بان هؤلاء الرسل لم يفهموا ما باستطاعتهم ان ينالوه من يسوع لأنه لم يستطيعوا ان يستوعبوا بعقولهم كلا الواقعتين: معجزة أطعام الخمسة آلاف بالإضافة إلى مقدرة يسوع على القدوم إليهم عند أوج العاصفة، في {منتصف} الليل، على بحر الجليل. لم تدم

المعجزة التي أجريت بعد الظهر، كأساس الثقة، لم تدم خلال ساعات الليل المظلمة. يقول مرقس البشير ببساطة: «لأنهم لم يفهموا بالأرغفة...» لم يفهموا قوة يسوع. ولم يفهموا قلبه الحنون.

يضيف متى البشير في سجله المختص بهذا الحدث، بُعدْ آخر للقصة مما يضع التوكيد على الرسالة التي يعلمنا بها يسوع. من الواضح ان بطرس هوالذي كانت له الثقة من بين الرسل عندما رأى يسوع ماشياً على الماء نحو تلك السفينة. عَبرَ عن ثقته بقوله: «يا سيد، إن كنت أنت هو، فمرني أن آتي إليك على الماء»؛ (متى ١٤:٢٨). كانت تلك شجاعة تامة من بطرس، أليست كذلك؟ فأستجاب يسوع للوقت بكلمة دعوة واحدة. قال: « تعال.» أخذ بطرس تلك الخطوة بالإيمان. دفع بتلك السفينة من تحت قدميه؛ وخطى إلى الخارج ومشى على الماء لوقت قصير. ثم بدأ بطرس يفكر بالرياح والأمواج بوجة نظر مختلفة. حول بصره عن يسوع وبدأ يركز على الخطر الذي تسببه الرياح والأمواج. وذلك مهلك دائماً. وإذ ابتدأ يغرق، صرخ قائلاً: «يا رب نجيني.» فمد يسوع يده وانتشله. كلماته لبطرس هي كلمات قد تطبق علينا في كثير من الأحيان: «يا قليل الإيمان لماذا شككت؟» شكك بطرس لانه لاحظ فجأة بانه هناك في الخارج وعلى الماء الذي يفوق كل قدرة بشرية، فخاف خوفاً عظيماً، فلاحظ ان الرب هو وحده يقدر ان يساعده، ولم يكن متأكد ما إذا كان سيخلصه يسوع.

كل هذا، يمكن أن يحدث شخصياً لكل واحد منا عندما ندع تلك السفينة لتمثل قدراتنا البشرية، ومهارتنا، وقوتنا العقلية، ومواردنا. الخطوة الأولى خارج قوتنا البشرية هي الأكثر خطورة لأنه بعد تلك الخطوة مباشرة، تبدأ المخاطرة. اللحظة التي نحول فيها ابصارنا عن الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يساعدنا، نصاب بالذعر. نقول لأنفسنا: «يا جاهل! ماذا أفعل هنا؟» هل سبق لك وشعرت بهذا؟ هل قلت: «ما الذي أتى أو حل بي في هذا الوجود؟ لماذا أنا هنا؟» عند هذا، نبدأ بالغرق.

الخلاصة

مازال الرب يقول كما قاله نحو ألفي سنة مضت: «ما هو غير مستطاع عند الناس، مستطاع عند الله.» ما دمت تؤمن حقاً، فهناك رجاء. بالإيمان والطاعة لمشيئة الرب، يصبح الغير مستطاع مستطاعاً! حياتك مرتبطة بحياته المقتدرة بالإيمان والطاعة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧